

٧ - وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِيَجْرِيَ فِيهِ الْفُلُوكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيَبْلُغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الجاثية]، والشاهد فيها ضمير المخاطب في «لَكُمْ» فهو للإنسان، وليست رسالة القرآن قاصرة على المؤمنين. وقد دلت آيات كثيرة على أنه سبحانه قد سخر الكائنات لمطلق الإنسان.

* * *

خامساً: المساواة في حق التعبير عن الرأي:

لقد حفظ الإسلام للإنسان حقه في التعبير عن آرائه ومعتقداته، ولكنه جعل لهذا الحق ضوابط ومعايير، فيجب عليه إن تعلق رأيه بآخرين أن يكون صادقا فلا يكذب عليهم أو يزور، وكذلك لا يحق له أن يسبهم أو يقذفهم بالتهم التي لا بينة عليها، وعلى كل حال يجب عليه أن يحترم عقائد الآخرين وأفكارهم ومشاعرهم كما احترموها هم حقه في التعبير.

وحق الإنسان في التعبير هو جزء من الحريات العامة في الدولة الإسلامية، وهو حق من حقوق الإنسان الطبيعية والتي يتساوى الجميع في نوالها. وبناء على ذلك وجب تنظيم هذه الحرية حتى يأخذ كل فرد في المجتمع منها نصيبه ولا يعتدى على نصيب غيره، ولا يحتكر إنسان سلطة التعبير ويحرم منها الآخرين، أو يعتدى في تعبيره على خصوصية الآخرين وحريرتهم في الاختيار والتوجه.

ويجب على النظام في الدولة الإسلامية أن يحمي العقيدة الدينية التي ينتمي لها أغلبية الأفراد وأقليتهم، وحماية العقيدة تكون بمنع العبث بأصولها وثوابتها أو التدليس بنسبة ما ليس منها إليها، وحمايتها يعنى كذلك احترام رموزها ورؤسائها وعدم السخرية أو الاستهزاء بالمقدسات الدينية، وفي كل ذلك إيذاء لمشاعر الآخرين الدينية.

ومثل هذه الحماية أو المحافظة لا تتعارض أبداً مع حرية التعبير وجواز توجيه النقد والمقارنة والاعتراض ولكن بشروط :

١ - أن يعتمد النقد والمناقشة على منهج علمي عقلى يستند إلى الحجة والبرهان.

٢ - أن تكون صيغة الحوار والتعبير صيغة متأدبة ليس فيها تجريح أو سب.

٣ - أن يفسح الناقد مساحة معقولة للمخالف أن يرد الشبهة أو يفند الاعتراضات، فلا يحكم على رأيه ابتداءً، ولا يمنعه أو يضيق مساحته في التعبير.

٤ - احترام الاختلاف وعدم الاعتداء على صاحبه وإن كان خطأه بَيِّنًا ومعارضته للحجة ظاهرة.

وطالما أن الشرع أمر المسلمين بالدعوة إلى دينهم بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلة المخالفين بالتي هي أحسن فإن هذا يستوجب ضمناً الأمر بإعطاء الآخرين الحرية المماثلة في الدفاع عن دينهم والمجادلة عنه بالحكمة والدليل.

وذلك لأنه لا تتحقق المجادلة بالتي هي أحسن إلا بين طرفين لديهم نفس القدر من الحرية في التعبير والتفكير.

والرأى لا يجوز أن يجابهه بإجراءات قضائية أو باستعداد السلطة على صاحبه، ولكن الرأى يواجهه كما جرى على طول تاريخنا الإسلامى بالرد والنقد والاعتراض والتفنيد وبيان أوجه الضعف أو الشذوذ فيه، ولا تتقدم المعرفة الإنسانية إلا بالتناضل بين أصحاب الآراء المتخالفة. أما إذا كان الناس جميعاً على رأى واحد فإن أحداً لن يعرف الحق من الباطل.

سادساً: المساواة فى الحرية الدينية:

لقد احترم الإسلام حرية الإنسان فى اختيار العقيدة التى يرضاها، وقد تكاثرت نصوص الوحيين (الكتاب والسنة) على تقرير ذلك وإثباته، وبيان ذلك فيما يلى:

أ - حرية العقيدة فى القرآن الكريم:

لم يُكره الإسلام الناس يوماً على مدى تاريخه التليد حتى يتبعوه؛ بل إنه أسس دستوراً لأتباعه يتبعونه فى هذه القضية المهمة، وهى قضية حرية الاعتقاد، والتى تمثلها آيات كثيرة فى القرآن الكريم، ومنها:

١ - قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة البقرة]، وينتظم الكلام على هذه الآية الكريمة فيما يلى:

- سبب نزول الآية: